

الهوية عند ادوارد سعيد من النقاء إلى الهجنة

Identity according to Edward Said: From purity to hybridity

بدة فوزية

جامعة 8 ماي 1945 - قالمة

beddafouzia@gmail.com

عبد الحليم بلواهم

جامعة 8 ماي 1945 - قالمة

Halim.dz21@gmail.com

تاريخ القبول: 2021/07/15

تاريخ الاستلام: 2020/09/13

ملخص:

ساد الاعتقاد بأن ميزة الهوية الجوهرية هي الثبات فهي تأبى التغير والتحول، حتى ترسخ في عقول البشر فكرة أن الهوية التي يتمتعون بها هوية نقية طاهرة لا بد من المحافظة عليها، غير أن الدراسات ما بعد الكولونيالية أثبتت أن الهوية النقية لا وجود لها في الواقع وذلك منذ ظهور التجمعات البشرية، وأن الذي يوجد هو هوية هجينة كانت نتيجة للاختلاط والاحتكاك الذي عرفته الثقافات المتعددة والمختلفة عبر التاريخ، ويعد ادوارد سعيد من بين الباحثين الذين يتبنون مقاربة الهجنة، حيث أكد على أن جميع الهويات بما تحمله من ثقافات تأثرت ببعضها البعض وهذه الميزة كانت موجودة في الحضارات القديمة، لكن مع بروز الاديولوجيات السياسية التي لا تقوم إلا على الاختلاف، تم الترويج لفكرة الهوية النقية التي تستند على اللغة و الدين والعرق من أجل قمع الآخر من منطلق الاختلاف الهوي، وما الهوية النقية في حقيقة الأمر سوى إنتاج سياسي محض تم اختراعها من أجل تحقيق مصالح وأهداف امبريالية بالدرجة الأولى فبالرغم من كل المحاولات من أجل المحافظة على فكرة الهوية النقية إلا أن الهجنة أخذت في الظهور في المجتمعات المعاصرة، وأصبحت تفرض نفسها كأداة للتعايش بين الأفراد والشعوب.

الكلمات المفتاحية: الأنا. الآخر. الهوية. النقاء. الهجنة

Summary :

It has been believed that identity with its steadfastness character refuses to change and transform, so that the minds of human beings are entrenched in the idea that the identity they enjoy is pure, and thus it must be preserved. However, postcolonial studies have proved that pure identity has never existed since the emergence of human gatherings. Rather, a hybrid identity has been the result of the mixing and friction that various cultures have encountered throughout history. Edward Said is among the philosophers of hybridity. He stresses that all identities with their cultures are influenced by each other and this feature existed in ancient civilizations. With the emergence of political ideologies that stand on divergence and promotion of the idea of pure identity, which is based on language, religion, and race, to suppress the other from the point of view of ideological differences. However, the pure identity is in fact a purely political production that is invented in order to realize imperial interests and goals in the first place. In spite of the various attempts to preserve the idea of pure identity, hybridity has begun to emerge in contemporary societies and has become a tool for coexistence between individuals and peoples.

Keywords: Ego; The Other; Identity; purity; hybridity.

بدة فوزية ، beddafouzia@gmail.com

أولاً. مقدمة:

الهوية موضوع خلق سجالاتاً كبيراً بين الفلاسفة والمفكرين لاسيما في الفلسفة المعاصرة، نظراً لأهميته خاصة في ظل العولمة التي تسعى إلى تنميط العالم وفق نموذج تنصهر فيه كل الخصوصيات، وهذه الدعوة التي حملتها العولمة إلى مختلف أقطار العالم خلقت ردود فعل مختلفة بين المفكرين والفلاسفة منها من يميل إلى شيء من التوجس والتحفّظ، ومنها من تبني موقفاً رافضاً لا غبار عليه، لكونها تهدد واضح لهويات الشعوب بل ووجودهم، وأي مخاطرة بالانسياق خلفها يؤدي حتماً إلى ابتعاد الشعوب عن أصلها وهويتها، مما يجعلها تعيش في دوامة وتصير غير قادرة على تحديد

ذاتها ولا على رسم مسارها، لأنّ هوية الأمة هي أساس انطلاقها نحو أي بناء فكري أو ثقافي أو حضاري.

ويعد المفكر إدوارد سعيد من بين أهم المشتغلين في هذا الحقل المعرفي، ولعل اهتمامه بمسألة الهوية كان مصدره الدراسات الاستشراقية ومخلفاتها على دول العالم الثالث، فالاستشراق قسّم العالم إلى شرق وغرب وفق منطق نمطي وقوالب محددة سلفاً إذ يجعل لكل منهما ثوابت غير قابلة للتغيير. فثنائية الشرق والغرب أو بتعبير آخر ثنائية الأنا والآخر تعبّر عن وجود اختلاف هوياتي بالدرجة الأولى، لأنهما يصبان في مشكلة الهوية بالأساس، فكل حديث عن الأنا والآخر هو بالضرورة حديث عن الهوية.

تصب في الغالب جل المقاربات الفلسفية التي احتوت إشكالية الهوية في اتجاه أنها المحدد الوحيد لأصل الشعوب، فلكل شعب هوية خاصة به تعبّر عن كيانه وتعكس وجوده المتميز عن باقي الشعوب الأخرى، وهنا يتجلى تميّز إدوارد سعيد الذي وقف على الطرف النقيض في محاولة لتفكيك الاعتقاد السائد لدى غالبية الباحثين، معتبراً القول بوجود هوية ثابتة لدى كل الشعوب أمراً لا أساس له، فالهوية النقية في نظره لا يمكن العثور عليها عبر تاريخ تكوّن الهويات في العالم، ذلك لأنّ الهوية لم تعرف الاستقرار بل عرفت الترحال من مكان إلى آخر، حتى أصبح من الصعب إيجاد هوية نقية لم تتأثر بغيرها من الهويات، وإنّ هذا الطرح الذي يقدمه إدوارد سعيد يقود إلى ضرورة التطرق إلى دراسة الهوية كموضوع فلسفي من أجل الكشف عن أبعاده الثقافية والحضارية.

إنطلقاً من هذا نطرح الإشكال التالي: ما المقصود بالهوية؟ وما هي أهم المحطات التاريخية التي مرّت بها؟ وما هو موقف إدوارد سعيد من مسألة الهوية؟ هل يمكن الحديث عن هوية نقية؟ أم أنّ ميزة الهوية الهجينة؟

ثانياً. مفهوم الهوية

يظل مفهوم الهوية على درجة من التعقيد يصعب معه ايجاد تعريف جامع مانع لها، فلقد اختلف الباحثون على تعدد تخصصاتهم في تحديد ماهيتها، فمن الناحية اللغوية تعد الهوية لفظ "مشتق من الهوكما تشتق الإنسانية من الانسان، وهوية الشيء هي عينيته وتشخصه وخصوصيته التي ندركها بالجواب عن السؤال ما هو"¹ ويعرفها الجرجاني بانها "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"² وجاء في معجم اللغة العربية الوسط ان الهوية هي "حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره وبطاقة يثبت فيها الشخص وجنسيته ومولده وعمله وتسمى بطاقة الشخصية أيضا"³.

اصطلاحاً

أ/ المعنى العام للهوية

مفهوم الهوية على ما يتضمنه من أبعاد مختلفة يبقى من المفاهيم العسيرة على التعريف، يتجلى ذلك في كثرة التعاريف واختلافها، فابن رشد يعرفها في كتاب تلخيص ما بعد الطبيعة بقوله: "تقال بالترادف على المعنى الذي ينطلق على اسم الموجود، إلا أنها ليست تنطلق على الصادق، وهي أيضاً من الألفاظ المنقولة لأنها عند الجمهور حرف وهنا اسم. ولذلك ألحق بها الطرف المختص بالأسماء، وهو الألف واللام، واشتق منها المصدر فقل هوية من الهوكما تشتق الإنسانية من الانسان، والرجولية من الرجل، وانما فعل ذلك بعض المترجمين لأنهم رأوا أنها اقل تغليظاً من اسم الوجود، إذا كان شكله شكل اسم مشتق"⁴، فمن خلال تعريف ابن رشد يمكن القول أن مفهوم الهوية دخیل على اللسان العربي، إذ تم اشتقاقه من الضمير "هو" ولم يكن موجوداً عند العرب السابقين، أما الفارابي فيعرف الهوية بقوله: "هوية الشيء وعينته، وتشخصه، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له، كل واحد، وقولنا هو إشارة الى هويته وخصوصيته، ووجوده المنفرد له، الذي لا

يقع فيه اشتراك⁵ "فالفارابي في هذا التعريف لم يخرج عن المفهوم المنطقي الذي قدمه أرسطو لمبدأ الهوية من حيث أن الشيء هو هو ولا يمكن أن يكون إلا هو .

أمّا في المعجم الفلسفي لجميل صليبا فقد ورد تعريف الهوية كما يلي : " الهوية في الفرنسية Identité في الانكليزية Identity، في اللاتينية Identitas ... اشتق هذا من حرف الرباط، اعني الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره"⁶ وجاء في كليات ابي البقاء : " ان الامر المتعقل من حيث انه معقول في جواب ما هو يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه على الاغيار يسمى هوية، ومن حيث حمل اللوازم عليه يسمى ذاتا "⁷، ويقول ايضا الجرجاني ان الهوية هي " الامر المتعقل من حيث امتيازه عن الاغيار"⁸، فالهوية في هذه الحالة تعد الميزة التي تقيم الفارق بين الإنسان وغيره، وعليه يمكن القول ان هوية الإنسان لا يمكن أن تتحدد إلا من خلال وجود الآخر المختلف .

ومن جهته يرى أندريه لالاند أن الهوية هي : " ميزة فرد، او كائن يمكن من هذا الوجه تشبيهه بفرد يقال عنه انه متماه، بالمعنى ب، او انه هو ذاته في مختلف فترات وجوده " هوية الأنا "⁹، أما في علم الاجتماع " تثار مشكلة الهوية فيما يتعلق بهوية الشخص في الإطار الاجتماعي، بان يشعر بالهوية مع أشخاص المجتمع الذي يعيش وينمو فيه وهو ما يسميه جورج ميد " تعميم الغير " Generalized other و اندماج الذات فيه"¹⁰، وهذا هو المفهوم الذي يدور بحثنا حوله، من اجل تحديد هوية الإنسان انطلاقا من المجتمع الذي يعيش فيه وتوسّع نطاقها إلى تمايز الهويات بين المجتمعات واختلافها من مجتمع إلى آخر .

في العادة يتم التمييز بين أنواع من الهوية مثل الهوية الشخصية والهوية الكيفية والهوية المنطقية والهوية العددية، لكن ما يهمنا هنا هو الهوية من

منظور اجتماعي والتي تبلورت في القرن الثامن عشر كامتداد لذلك التصنيف والتميز الذي كان سائدا في العصر اليوناني.

ب/ مفهوم الهوية عند ادوارد سعيد

شكلت الهوية محور اهتمام ادوارد سعيد ودارت حولها معظم أعماله باعتبار أن هذه الأخيرة من أكثر القضايا التي تشغل الإنسان بصفة عامة والإنسان العربي بشكل خاص والذي صار يعيش حالة من الضياع و يبحث بشكل مستمر عن انتماءاته في ظل الظروف المحيطة ، ذلك أن الإنسان الغير قادر على معرفة أصوله غير قادر على إيجاد ذاته وهذا ما يجعله يتخبط في دوامة الهوية التي يمكن أن تعصف بكيانه، لذا يرى ادوارد سعيد "أن الهوية تكمن في تساؤلين هامين هما : من نحن؟ ومن أين جئنا؟"¹¹، فكل سؤال حول الهوية يتمحور حول البحث في ماهية الذات وفي أصولها المنبثقة عنها وهذا في نظر ادوارد سعيد لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال وجود ذوات أخرى بهويات متعددة وهذا ما نلمسه في قوله "إن الواحد لا يختزل أبداً المتعدد ، تقاس فرادة الذات بتعدد هوياتها وبما تصنعه بهما، بالطريقة التي تضطلع بهما وتعيد تركيبهما"¹²

لقد استوحى ادوارد سعيد مفهوم الهوية واستمدته من معاناته ومن تجربته الشخصية التي ولدت في نفسه هاجس البحث عن هويته، لانه وكما يقول "كلنا دون استثناء ننتمي إلى نوع ما من جماعة قومية، او دينية أو اثنية : لا يهم حجم الاحتجاج، فوق الروابط العضوية التي تربط الفرد بالعائلة والجماعة"¹³

وعلى ما يبدو لم تكن تلك الروابط ذاتها بارزة في هوية إدوارد سعيد لأنه وعلى حد قوله رغم أن جميع البشر لهم هوية بارزة ومحددة، إلا هويته ، فهي مختلطة بدءا من اسمه المركب بوصفه عربي وأجنبي في الوقت نفسه.

ان الهوية عند ادوارد سعيد بمثابة مشروع قائم على التعددية كما أنها تقوم على دالتين متقابلتين " فهي من ناحية تحيل على التطابق والوحدة والثبات، ومن ناحية أخرى تحيل على الاختلاف والتمايز والمغايرة، وهو شكل لا هويوي في التعامل مع الهوية كصيرورة، وهي بهذا المعنى منفتحة وبالتالي فمفهوم الهوية مفهوم تاريخي"¹⁴.

من جهة أخرى اقترن مفهوم الهوية عند ادوارد سعيد بمفهوم الثقافة، فالهوية هي الثقافة والثقافة هي الهوية وأن الدين واللغة وكذلك الجغرافيا تعدّ من بين العوامل الثقافية التي لها كل الفضل في نحت هوية الأفراد الجماعية وهذا ما دفع ادوارد سعيد إلى النظر إلى الهوية على أنها " ليست ذات طبيعة بيولوجية وراثية فنحن لا نولد بهويات بل نكتسب هوياتنا من خلال الثقافات التي نتشربها والمناطق التي نعيش فيها أو نمّر بها"¹⁵

ثالثا. كرونولوجيا الهوية:

الاهتمام بالهوية والتمركز حولها رغم جدّته كمبحث عرف حضورا ملفتا في الحقل المعرفي وفي الأبحاث والدراسات المعاصرة، له جذور في الحضارات القديمة، حيث كان يتم تحديد هوية الفرد إما بالعرق واللغة كما هو في الحضارة اليونانية أو من خلال الانتماء الجغرافي كما في الحضارة المصرية، فهوية الفرد اليوناني كانت خاضعة للعرق، فلا يحق لأي فرد أن يتمتع بالهوية اليونانية إلا إذا كان من أصول يونانية، وما دون ذلك فهم عبيد لا يرقون إلى مستوى الإنسان اليوناني، كما نجد أيضا أن تحديد الهوية عند اليونان ارتبط باللغة، فمن يتحدث باللسان اليوناني فهو يوناني الأصل أما غير ذلك فهو بربري، لذا يمكن القول أن الهوية ارتبطت منذ القدم بمحددتين أساسيتين هما العرق واللغة، وهذا الاعتقاد كان شائعا في الحضارات الأخرى أيضا ولا يزال تأثيره لحدّ اليوم.

إن تصنيف الهويات كان حاضرا في تفكير فلاسفة اليونان منذ أفلاطون وأرسطو مروراً بالعصر الوسيط والحديث، أين تم اعتبار عامل التاريخ من بين المرجعيات المعتمدة في تحديد هوية الأفراد والشعوب، أما في الفكر المعاصر فقط بدأ هذا التصور الهوياتي في التراجع ببروز العديد من الفلاسفة الذين نادوا بضرورة تجاوز الطرح الكلاسيكي لمسألة الهوية و التوجه نحو بناء هوية أساسها الإنسانية لا العرق واللغة والتاريخ .

لا يمكن بأي حال من الأحوال القفز على فكر أفلاطون في معالجة مسألة نقاء الهوية ، ذلك أنه من الفلاسفة الذين صنعوا فكرة الهوية النقية التي لا بد من المحافظة عليها، فاليونان في تصوره شعب ذا اصل وعرق نقي يجعله من أسمى الشعوب، ومن اجل الحفاظ على نقاء الهوية سنّ أفلاطون العديد من القوانين في كتابه الجمهورية، واعتبر وجود الآخر ضروري لمعرفة الذات و في تحديد هوية الأنا حيث ذهب في محاوره السفسطائي إلى القول " كل ما هو آخر لا يكون كذلك وجوبا إلا بالنسبة إلى شيء آخر"¹⁶ فالهوية اليونانية هوية عريضة بالمقابل مع الهويات الأخرى والعرق اليوناني ارقى من الأعراق الأخرى والدليل على ذلك أن اليونان اثبتوا وجودهم من خلال بناء حضارة وإبداع فلسفة .

أما أرسطو فيعد المؤسس الأول لفكرة الهوية من الناحية المنطقية، إلا انه نقل الاهتمام بها من الفكر الصوري إلى الفرد، أين رأى أن هوية الفرد لا تتحدد إلا من خلال المجتمع الذي تكون له لغة واحدة، فاللغة في هذه الفترة كانت هي العنصر الأساس الذي يتم من خلاله الحكم على هوية الإنسان ثم يأتي العرق الذي اعتمد عليه في بناء فكرة المواطنة وبالتالي فان نظرة كل من أفلاطون وتلميذه أرسطو للهوية كانت ضيقة، لأنها حصرت مفهوم الهوية في العرق واللغة وأعلت من قيمة الشعب اليوناني على بقية الشعوب الأخرى .

أما الرواقية فقد قدمت مفهوماً أوسع للهوية إذ جعلت العالم فضاء مشترك بين الجميع وكل له الحق في العيش فيه، وإن جميع البشر سواسية لا ينبغي التمييز بينهم لذا "حثت أفكارهم الناس على معاملة بعضهم البعض كإخوة طالما أنهم متساوون، تجمعهم وحدة العقل وقربة انتسابهم إلى عقل واحد تفوق قرابتهم في الدم"¹⁷، فالعالم هو الوطن والبشر هم مواطنون داخل هذا الوطن، بغض النظر عن عرقهم ولغتهم وتاريخهم، فالجميع يشارك فيه، لأن هذا العالم في الأخير ملك للآلهة.

في العصر الوسيط برز الدين كعنصر فعال في تحديد الهوية، حيث باتت الهوية تخضع للمعايير الدينية، وأصبحت الشعوب تصنف انطلاقاً من دينها المتبع، وعلى أساسه تحدد هويتها، مما أدى إلى ظهور ثلاث هويات كبرى متصارعة تمثلت في الهوية اليهودية، المسيحية والإسلامية. وعليه انقسم العالم في العصور الوسطى إلى يهودي ومسيحي وإسلامي، وباتت هوية الفرد متعلقة بدينه فأصبح يقال هذا يهودي أو مسيحي أو مسلم أو، والشعب اليهودي نصّب نفسه في أعلى الهرم بوصفه "شعب الله المختار"، وبالتالي فإن الهوية اليهودية أنقى الهويات وأفضلها على الإطلاق، وفي المقابل ربط المسلمون هويتهم بدينهم فأصبح شعارهم في ذلك: "نحن الإسلام والإسلام هو نحن"¹⁸ وعليه فإن نقاء الهوية ارتبط أيضاً بالدين حتى صارت الهوية الدينية "أبلغ صورة عن الهوية الموحدة والثابتة"، هوية طهرانية خالصة تتموقع فوق أي هوية اجتماعية أخرى من خلال اللجوء إلى الدين¹⁹.

واستمرت بعدها فكرة نقاء الهوية إلى العصر الحديث، حيث تراجع الدين كمحدد أساسي للهوية فأسحا المجال للعرق واللغة والتاريخ، وهو ما نجده حاضراً لدى المفكرين والفلاسفة الألمان الذين اعتبروا العرق عاملاً حاسماً في نشأة الهوية القومية وانتهوا إلى أنّ العرق الألماني الجرمانى هو عرق متميز

بل أنه أحسن وأرق الأجناس وهو ما يخول له الحق في السيطرة على العالم ،اما بقية الأعراق فيجب إبادةا لأنها ليست جديرة بالبقاء، وهو فعلا ما سعى إليه أدولف هتلر، والذي شنّ حربا ضروسا على الأعراق الاخرى ووضع نصب عينيه إبادة العرق السامي، وهذا الأمر يعد تطبيقا فعليا لما نظّر له ثلة من الفلاسفة الألمان أمثال نيتشه وفخته، ... مما منح فكرة نقاء الهوية صدى كبيرا لدى الشعب الألماني.

ذهب نيتشه في كتابه "هكذا تكلم زرادشت" إلى أن العرق الألماني الآري وحده قادر على إنجاب الإنسان الممتاز "السوبرمان" الذي سيتولى قيادة العالم ويحقق تفوقه على بقية الأعراق، فيصنع للعالم نظاما جديدا من خلال قلبه لقيم الضعفاء ليبني قيم جديدة تتوافق مع العرق الآري، غير انه لا بد من الإشارة إلى أن نيتشه كان ضد الهوية بالمفهوم الكلاسيكي الذي أنشأته الميتافيزيقا الغربية المتمركزة حول نفسها، فان كانت الميتافيزيقا تجعل الهوية تتوقع حول فكرة الأصل فان جينالوجيا نيتشه لا تسعى الى "استعادة جذور الهوية وإنما تهدف إلى القضاء عليها، فبينما تتوخى الميتافيزيقا إثبات الوحدات وإقامة الهويات والوقوف عند الماهيات الخالدة، ترمي الجينالوجيا إلى هدم الموحد وتقويض الهوية وإظهار الانفصالات التي تخترقها"²⁰، ومع ذلك فان انحياز نيتشه للعرق الآري أمر لا يمكن إنكاره.

ومن جهته ساند جون ستوارت مل فكرة العرق، بل اعتبره المحدد الجوهرى للهوية، فكان العرق الآري هو أرقى الأعراق، و بالتالي يحق له غزو العالم، واستعمار الشعوب من اجل تمدينها و حملها على التحضر وهو ما أكدده ايضا المستشرق الفرنسي ارنست رينان الذي قام بتصنيف البشر، وقسمهم الى ساميين وآريين، وقرر تفوق الجنس الآري في مجال الفلسفة كما في المجالات الأخرى "²¹، أما ماريو باي فقد اعتبر اللغة المحدد الأساسي للهوية الفرد و انتماؤه الاجتماعي ، حيث رأى أنّ هوية الشعوب تستند إلى عامل

اللغة بالدرجة الأولى وهو ما يتضح في قوله: "إذا كنت تتكلم لغتي فأنت تنسب إلى مجموعتي، أما إذا اختلفت لغتك عن لغتي فأنت تنتمي إلى جماعة أخرى غير جماعتي، ونحن نتصرف على هذا الأساس..."²² وبالتالي فإن اللغة دور فعال في بناء هوية الفرد و المجتمع وعلى أساسها يتم تحديد انتماءاتهم . وهذا التصور يعد من التصورات الغالبة على فكر الفلاسفة في العصر الحديث خاصة مع بناء الدولة القومية التي تقوم في صميمها على مقومات الهوية كالدين والعرق واللغة والتاريخ ، حيث ذهب كل من فيكو وهيردرو هامان إلى " أن كل ثقافة تمتلك ترابطا منطقيا داخليا وعضويا، وان هذه العناصر تشكل مجتمعة روحا، وعبقرية، وفكرة قومية ليس بمقدور شخص خارجي النفاذ إليها إلا بواسطة فعل من التعاطف التاريخي "²³ ، وبهذا يمكن القول ان الاهتمام بالهوية والتقوقع داخلها في المجتمع الأوروبي زاد بشكل كبير مع بروز الدولة القومية في أوروبا و التي بنيت على فكرة التاريخ واللغة والعرق.

هذا الاهتمام بالهوية القومية امتد إلى بلدان العالم الثالث حيث برز العديد من المفكرين ذوي توجه قومي عربي من أجل توحيد الأمة العربية حيث يقول محمد عابد الجابري " ولما كان الوطن العربي مجزأ إلى ولايات وأقطار فإن مهمة الفكرة القومية العربية كانت بالضرورة توحيد الأمة وإقامة دولة الوحدة التي تتطابق معها "²⁴ ، مما يعني أن الاتجاه القومي كان يدعو إلى توحيد الدول العربية لما لها من مميزات تاريخية وعرقية وثقافية تجعلها تقطع صلتها بالشعوب الأخرى، لذا كان تقدم الدول العربية مرهون بوحدتها وهذه الفكرة تبناها العديد من المفكرين، أمثال ساطع الحصري، الذي اعتبر العرب أمة واحدة وأن اللغة والتاريخ هما المقومان الأساسيان لوجودها، وزكي الأرسوزي الذي اعتبر عبقرية الأمة في لسانها أي أن اللغة دليل قاطع على وحدة العرب مقتفيا بذلك اثر القومية الألمانية، وفي نفس الاتجاه ايضا

سار عمر فاخوري مؤكداً هو الآخر على ضرورة الهوية القومية من أجل تحقيق النهضة العربية، حيث ربط تقدم العرب ونهضتهم بعروبيتهم وهذا ما يتضح في قوله: "لا ينهض العرب إلا إذا أصبحت العربية أو المبدأ العربي ديانة لهم يغارون عليها كما يغار المسلمون على قرآن النبي الكريم، والمسيحيون الكاثوليك على إنجيل المسيح الرحيم، والبروتستانت على تعاليم لوثر الإصلاحية وثوريو فرنسا في عهد الرعب على مبادئ روسو الديمقراطية ويتعصبون لها تعصب الصليبيين لدعوة بطرس الناسك"²⁵، وهو ما يؤكد وجهة نظر عمر فاخوري الذي يعتبر أن تراجع الأمة العربية يعود إلى ابتعادها عن لغتها العربية ومن أجل أن تنهض من جديد يجب عليها أن تعيد الاعتبار إلى هذه اللغة التي تمثل هويتها تقديسها وترفعها إلى مرتبة الدين .

رابعا. موقف إدوارد سعيد من الهوية النقية:

يرى ادوارد سعيد ان الهوية من بين المفاهيم الفياضة التي استقطبت اهتمام الإنسان المعاصر، وتحتل الصدارة في جدل الأنا والآخر، فالتصدعات القائمة في العالم سببها الرئيس هو التمرکز حول الهوية، أين يتم " التركيز أكثر على الهوية، على الحاجة إلى الجذور، على قيم ثقافة المرء وإحساسه بالانتماء، وأصبح من النادر توجيه النفس إلى الخارج، لتكون هناك رؤية أوسع"²⁶ لما يعانيه العالم من كوارث وأزمات تعود بالأساس إلى فكرة الهوية النقية، التي يعد ادوارد سعيد من بين ضحاياها، وتجلى ذلك في التأثير الذي خلفه بداخله المنفى، فقد عاش حياة النفي والترحال من منطقة إلى أخرى، لأنه نفي من بلده الأم فلسطين إلى مصر ثم إلى أمريكا، فوجد نفسه مشتت بين هويات متعددة على مستوى الحياة عموماً بدءاً من الاسم إذ يتركب اسمه من شق عربي وهو سعيد وآخر أجنبي وهو ادوارد، " فالاسم كان العتبة الأولى لانبثاق سؤال الهوية، وهو لم يكن يطيقه لما يكتشف في أعين الآخرين تلك النظرة المشككة في هويته، هل هو عربي أم أمريكي؟"²⁷ وتظهر مفارقة

الهوية عند ادوارد سعيد في كتابه "خارج المكان" الذي يدور حول سيرته الذاتية، يتجلى فيه قلقه من ازدواجية الاسم حيث يقول: "ولقد امتلكني هذا الشعور المقلق بتعدد الهويات – ومعظمها متضارب – طوال حياتي، ورافقه ذاكرة حادة إنني كنت أتمنى بشكل محموم لو إننا جميعا عرب كاملون أو أوروبيون أو أمريكيون أو مسيحيون أرثوذكسيون كاملون أو مسلمون كاملون أو مصريون كاملون وما إلى ذلك"²⁸.

إن الطرح الهويي الذي قدمه ادوارد سعيد لا يمكن فصله عن تجربته الخاصة التي كانت بمثابة الدافع الذي أدى به إلى رفض فكرة الهوية النقية التي روج لها الغرب وسعى إلى ترسيخها في عقول الأوروبيين وزرع فيهم فكرة أن الهوية من الثوابت التي لا يمكن أن يمسها التغيير، فقد تناول النظرية الغربية للهوية بالنقد من أجل تجاوزها والكشف عن ما تنطوي عليه من تناقضات ومفارقات وإيديولوجيا، وهو ما أكد عليه فتحي المسكيني من خلال تعرضه لمسألة الهوية عند ادوارد سعيد مبرزاً كيف تعامل مع نقاء الهوية حيث يقول في هذا الصدد: "بل صار يشرع بشكل صريح إلى تدمير نسقي للأساس الخفي لكل جهاز هويي سواء كان غربياً أم شرقياً ونعني بالتحديد تدمير فكرة النقاء العرقي"²⁹، وانطلاقاً من هذا التصريح الذي قدمه المسكيني نجد أن الهوية الغربية في نظر ادوارد سعيد بنيت على العنصرية العرقية كأكبر مقوم استند عليه الغرب لفرض تمايزه عن بقية الشعوب.

إنّ نقاء الهوية لم يعد له مفعول على الإنسان المعاصر وهذا ما يؤكدّه جان بودريار الذي اعتبر الحديث عن الهوية النقية أمر لم يعد له جدوى ولا طائل وهي فكرة فاقدة لمبررات وجودها، ويتجلى ذلك في قوله "الهوية اليوم توجد في خانة الرفض، فلم يعد لها أساس موجب"³⁰، أي أنها كانت تحشد الجماهير تحت روح القومية التي لم يعد لها أي تأثير إيجابي، فالإنسان اليوم لم يعد يقنع بهذا النوع من الهوية لأنه أصبح يعيش في عالم يحكمه

الاختلاف والتعدد الذي حاول الغرب إخفائه وجعله في الهامش خوفاً على مصالحه تحت شعار المحافظة على نقاء الهوية والخوف عليها من التدنيس، في حين نجد أن الحضارات والثقافات على مرّ التاريخ قد عرفت تحولات كثيرة أدّت إلى صعوبة الحكم على هوية ما بالنقاء، حيث يرى إدوارد سعيد أنه "ليس بمقدورنا أن نسيج هويتنا أو هوية الآخرين في مفهوم سكوني، لأن الهويات تنتج عن سيرورة تاريخية، واجتماعية، وفكرية، وسياسية معدة ومهيأة تظهر هذه السيرورة بمثابة صراع يتضمن الأفراد والمؤسسات في كل المجتمعات"³¹، ويقدم ادوارد سعيد واقع الهوية اليهودية كنموذج على ذلك في كتابه "فرويد وغير الاوروبيين" حيث وجّه نقد لاذع للهوية اليهودية التي تتغنى بالطهارة، وتعتبر نفسها انقى الهويات وافضلها، مستعينا في ذلك بمن يعتبره اليهود احد اعلامهم وهو المحلل النفسي سيغموند فرويد الذي كان له هو الآخر الفضل في الكشف عن الاصول الاولى لليهودية من خلال العودة الى اصل نبي اليهود، وكما قام ايضا بدراسة للأصول اليهودية منتهيا بذلك الى "ان اليهود ليسوا كذلك جذريا لانهم ليسوا عرقا آسيويا غربيا، بل يتألفون بأكثرية من بقايا الشعوب المتوسطية ويرثون ثقافتها"³²، وعليه فان الهوية اليهودية لم تتكون من العدم، بل كانت نتيجة اختلاط اليهود بغيرهم من الامم، فإن فرويد كما يقول ادوارد سعيد: "أصرّ لدى قيامه بسبر الاغوار الاثرية القديمة للهوية اليهودية، على ان هذه الهوية لم تبدأ بذاتها، بل خرجت، بالأحرى، من ارحام هويات اخرى (مصرية وعربية) بما يجعل استعراضه في "موسى والتوحيد" خطوة متقدمة جدا وعظيمة على طريق اكتشافها، وصولا الى اعادة وضعها تحت المجهر"³³، وان الشعوب التي استمد منها اليهود هويتهم هي الحضارة المصرية بشكل كبير، واليهود قبل تجمعهم كانوا يقطنون مصر وبالتالي لا يمكن ان يكون عرقهم عرقا خالصا ونقيا فقد اعتبر فرويد "ان مؤسس اليهودية لم يكن يهوديا، وبأن اليهودية

قد خرجت من رحم التوحيد المصري، غير اليهودي³⁴ وهذا الامر اثار سخط اليهود ضد فرويد، وهو ما يقودنا إلى القول مع ادوارد سعيد ان الحفر والتنقيب في اصول الهويات يكشف لنا عن حقيقة لا يمكن إنكارها وهي أن سمة الهويات الإختلاط و التفاعل مما يسقط مقولة نقاء الهوية ويؤكد هجنتها.

يرى ادوارد سعيد ان فكرة النقاء -التي تشكلت منذ القديم وتبلورت في العصر الحديث- قد تهاوت في مرحلة ما بعد الحداثة حيث اثبتت " الانثروبولوجيا وجغرافيا الهجرات ان النقاء العرقي خرافة ميتافيزيقية، وان حركات الهجرة عبر التاريخ قد مزجت الشعوب والثقافات بعضها ببعض اكثر مما كنا نتصور"³⁵، وتعد الحضارة اليونانية في نظر ادوارد سعيد هي التي مهدت لظهور فكرة نقاء الهوية حيث يقول في هذا الشأن " يعود ذلك في جميع الحالات الى الاغريق والبرابرة. اي انا يوناني لست بربريا، ...، انها هوية وطنية خصامية، وتؤدي دور بالغ السلبية"³⁶، فلقد اعطى اليونان للهوية بعد سياسي لأنها اصبحت المحدد والاساس الذي بنيت عليه فيما بعد فكرة الوطنية والمواطنة التي زادت من ترسيخ فكرة الهوية الثابتة وبهذا تكون فكرة النقاء ناتجة عن إرادة سياسية جعلت من الاختلاف خادما لمصالحها، لان السياسة كما يرى اوارد سعيد هي السبب وراء بروز الهوية النقية .

يعيب ادوارد سعيد على الانظمة التربوية مساهمتها في ترسيخ الهوية النقية، وذلك بزرع فكرة نقاء الاصل لدى الاطفال في المدارس " فمعظم تقاليد التعليم الوطنية، على نطاق ضيق، يقولون نحن ننحدر من تقاليد عظيمة، من الاباء المؤسسين، وهكذا دواليك، لكنهم يشيرون ضمنا الى ان التقاليد الاخرى دونية، هذا فضيع وعلينا تغييره بسرعة وتشديد على رؤية اوسع واشمل للإنسانية"³⁷، في هذه الحالة يمكن القول مع ادوارد سعيد ان الهوية تم غرسها في الاجيال بواسطة التربية والتعليم، فالطفل يتعلم من

المدرسة تفضيل الذات على الآخر، فيزرع فيه منذ الصغر فكرة ضرورة المحافظة على الهوية لأنها الأصل وبالتالي فهي الذاكرة التي لا ينبغي أن يعثرها النسيان، وهذا يولد في نفس الطفل روح الهوية ويسعى دوماً إلى المحافظة عليها، ويتعصب لها مما يدفعه إلى احتقار الهويات الأخرى أو النظر إليها بازدراء وهو ما يغذي روح التعصب والعنصرية لدى الناشئة. إن فكرة الهوية النقية في منظور ادوارد سعيد قد تشكلت بحكم عاملين أساسيين هما :

1 / الاستشراق :

الاستشراق من بين الآليات التي استند إليها الغرب في الترويج لفكرة "هوية غربية نقية"، فإذا كان في ظاهره أداة لدراسة الشرق والتعرف عليه فقد كان في باطنه يصنع هويته ويخلق في المقابل هوية الشرق، وهو ما دفع ادوارد سعيد إلى القول: "إن الاستشراق [...] مفهوم جمعي يحدد هويتنا نحن بوصفنا كل أولئك الذين ليسوا أوروبيين"³⁸ بالاعتماد على معايير متعددة منها العرق واللغة والموقع الجغرافي والثقافة .

يرى ادوارد سعيد أن اللغة والدين من بين العوامل الثقافية التي استند إليها المستشرقون في تحديد هوية الشرق، فنظروا إلى الشرق على أنه مجموعة من البلدان المتخلفة غير المتحضرة البعيدة عن التمدن، لها ثقافة غريبة، بل لا ترقى إلى مستوى الثقافة أصلاً، وأن الدين الذي يمثل هويتها هو دين إرهاب، فالقوة والسلطة التي يتمتع بها الغرب مكنته من إنتاج هويته وهوية الشرق وهذا ما أكد عليه فرانسوا باربوقله: "لا توجد هوية طبيعية تفرض نفسها علينا بقوة الأشياء ... بل لا يوجد إلا استراتيجيات تقوم على الهوية يقودها بوعي فاعلون"³⁹، فهذا التصوير الذي صنعه الغرب عن الشرق لا يمثل الهوية الحقيقية له، بل هو يعكس ذلك التصور الذي إرادته

الغرب ، بهدف الاعلاء من الانا على حساب الآخر، فهذا الاخر يجب ان يكون في هويته وصفاته مناقضا للانا، من اجل تبرير المركزية الأوروبية. نظر الغرب الى الاسلام على انه لا يمثل ثقافة الشرق فقط، بل هويته، ومن هذا المنطلق اسسوا دراستهم حول الشرق، فدرسوا الاسلام عن بعد وبشكل سطحي، اي لم تكن دراستهم للإسلام دراسة معمقة وقائمة على الموضوعية، بل كانت تعكس مواقف ذاتية، " فهناك اجماع حول الاسلام باعتباره كبش فداء لكل ما لا يروق لنا من انماط سياسية واجتماعية واقتصادية جديدة في العالم، فبالنسبة لليمين يمثل الاسلام الهمجية، وبالنسبة لليسار يمثل الشيوعية في العصر الوسيط، اما بالنسبة للوسط يمثل نوعا من الغرائبية المموجة " ⁴⁰، فهذه النظرة الدونية للإسلام غرضها تبين ان الاسلام اقل روحية ولا يرقى الى مستوى المسيحية التي تحمل بذور السلام والتعايش والتسامح .

ويبدو أنّ الاستشراق لم يتجاوز فكرة العرق والجنس بالقدر الذي ساهم في تأصيلها، فاعلمت الدراسات كانت تبرز ذلك الاختلاف العرقي والجنسي من اجل اثبات التميز بين الشرق والغرب، اي بين العرق السامي والعرق الآري، لذا وجّه ادوارد سعيد نقدا لاذعا الى ارنست رينان، واعتبر ان كتاباته عن الشرق لم تخلوا من التحيز العرقي والجنسي وهذا انعكس سلبي على هوية الشرق، حيث تم التعامل مع هوية هذا الاخير على انه يفتقر لأهم سمة للإنسان وهي العقل او الفكر، اي ان العقل للغرب والقلب والروح للشرق، من اجل تبين ان الشرق لا يمكن ان يصنع حضارة، لان الحضارة تقوم على التنوير العقلي والفكري لا الروحي والوجداني .

لهذا فإنّ الاستشراق لا يمكن التعامل معه الا من منظور نقدي، بهدف ابراز الغايات الكامنة خلفه لان الهدف الاساسي القابع وراءه هو استئصال هوية الشرق واستبدالها بهوية اخرى تكون اقل دونية من هوية الغرب "

فينحط من كائن فعلي إلى صورة تفتقد إلى أي استقلال فكري أو شخصي، لأنها لا تمتلك أي دور وجودي بل فقط دوراً آتياً لشيء مقابل يساعد الذات على تمييز هويتها"⁴¹، فالغاء هوية الآخر هو إثبات لهوية الـ"أنا"، التي لا يمكن أن تتحدد إلا بوجود هذا الآخر حيث يقول ميشيل فوكو: "الغربي عندما يدرس الآخر يعيد إنتاج نفسه عبر إخضاع الآخر لمنهجيات العلوم الإنسانية التي تعتبر المحصلة التركيبية العليا والاختيرة لتلك الميتافيزيقا الإنسانية ذاتها، والتي تقود المشروع الثقافي الغربي"⁴²، لأن لولا الشرق لما تمكن الغرب من وعي ذاته ورسم معالم هويته، فالهوية تم بناؤها انطلاقاً من فكرة الثنائيات غرب / شرق، عقل / روح، الـ"أنا" / الآخر، نحن / هم، الاسلام / المسيحية، الحضارة / البداوة، فلم يخرج الاستشراق عن هذه الثنائيات، فكان يثبت لذاته أحدهما ويبقي على الأخرى لصاح الشرق، حتى بات الغرب يعتقد أن الشرق لم يكن موجوداً من قبل وأن الفضل يعود إليهم في إخراجهم إلى الوجود واعطائه صفة الإنسان، لكن هذا الإنسان كان على الغرب أن يخلق هويته وأن يحدد أصوله لكن السؤال الذي يطرح في هذه الحالة هل الهوية الشرقية التي خلقها الاستشراق هوية أصيلة؟ ومن هذا التساؤل يأتي دور ادوارد سعيد في فضح الدراسات الاستشراقية حيث ذهب إلى أن الشرق الذي يتحدث عنه الغرب لا وجود له إلا في المخيال الغربي فقط، فالهوية الشرقية هوية لها مقوماتها وأصولها، بل هي أعرق وأقدم من هوية الغرب نفسه، وأن الغرب تعامل مع الشرق وفق منظور امبريالي لأن تشويه هوية الشرق تخدم بالدرجة الأولى مصالحه ومآربه .

2 / الاستعمار

تعرضت هوية الشرق تاريخياً إلى الطمس من طرف الاستعمار، الذي لم تكن غايته تقتصر على الاحتلال الجغرافي فحسب، بل عمل أيضاً على استئصال هويته أو على الأقل تشويهها والتشويش عليها، لأنه مدرك للدور

الذي تلعبه الهوية في توحيد الشعب و الزيادة في قوته وتلاحمه ولكونها المحرك الأساسي لأي مقاومة ومعارضة تقام ضده وهذا طبعا ما لا يخدم الاستعمار وأهدافه التوسعية، فمن أجل إحكام قبضته على دول الشرق كان عليه تفكيك كل عناصر الوحدة وقطع الطريق أمام كل العناصر التي من شأنها أن تساهم في تحقيقها، وهذا ما أكد عليه أيضا فرانز فانون وادوارد سعيد وكذلك هومي بابا، حيث تنهوا إلى الدور الذي لعبه الاستعمار في القضاء على هوية الشعوب المستعمرة، وإن أزمة الهوية التي تعيشها الدول الشرقية في المرحلة ما بعد الكولونيالية تعود بالدرجة الأولى إلى الاستعمار.

دأب الاستعمار على محاربة جميع مقومات الهوية كالدين واللغة والعادات والتقاليد بهدف التفرقة بين أفراد الشعب الواحد وتفويت كل فرص الوحدة والاجتماع، وفق إستراتيجية مدروسة سلفا، فمن أجل القضاء على اللغة تم فتح مدارس لتعليم أولاد المستعمرين اللغة الفرنسية أو الانجليزية، لذا نجد أن اللغة الأكثر تداولاً في المجتمعات التي تعرضت إلى الاستعمار تعود بالدرجة الأولى إلى ذلك التأثير الكبير الذي تركه فيهم، فمثلاً نجد في مصر شيوع الانجليزية التي فرضها الاستعمار الإنجليزي، وفي الجزائر نجد اللغة الفرنسية حاضرة بقوة بحكم التواجد الفرنسي، وبهذا يمكن القول أن "اللغة عامل وجودي كذلك قبل أن تكون مجرد وسيلة للتعبير والتواصل إنها- أي اللغة - جزء من البناء الحضاري لأي وجود إنساني، فيها رهبا تهندس الهويات وتتحدد وتتشكل"⁴³، ومن أجل القضاء على الدين تم تنصير الشعوب المستعمرة، وإحالتهم على الدين المسيحي بهدف إضعاف الوازع الديني الإسلامي في قلوبهم لأن الاستعمار وجد أن الإسلام يعد القوة الموحدة لهم وكذلك يعد الرابطة الروحية التي تجمع بينهم، لذا عمل على نشر الخرافات والبدع بين الأفراد واختلاق الكثير من العادات التي لم تكن موجودة من قبل

بل وتتعارض في جوهرها مع تعاليم ومبادئ الدين الإسلامي والتي لا يزال تأثيرها مستمر في معقدات المجتمعات العربية والشرقية وفي سلوكهم . هذا المشروع الاستعماري ساهم في خلق هويات جديدة داخل دول العالم الثالث، وقام بتغذيتها وتأجيجها حتى تحوّل هذا العالم الى ساحة للصراع بين الاقليات واصبح " داخل الدولة الواحدة ثمة اقلية اثنية ولغوية تطالب بالانفصال، وثمة قوى لغوية ودينية تسعى الى الاتحاد مع نظيرتها في دول مجاورة"⁴⁴، لكن الغاية التي حملها الاستعمار معه الى دول العالم الثالث تكمن في التعريف بهويته، وفرضها على شعوب هذا العالم، فمحاربة اللغة والدين كان يقابلها نشر لغة ودين المستعمر، لان الاستعمار كان دوما مشحون بالزخم الثقافي الذي حمله معه، حتى بات الاستعمار لصيق بالهوية الاوروبية، اي ان الغرب في التصور العربي يتم تحديده من تلك الصورة التي رسمها المستعمر في ذهنه والتي مازالت قائمة في مخيلته الى اليوم . ان ثنائية الاستعمار والاستشراق عملت جنبا الى جنب في الترويج للهوية الغربية، كما ساهمتا في قتل الهوية الاصلية للشرق، وخلق هوية جديدة كانت بديلة لهويته الحقيقية، تتماشى مع مخططات وأهداف الاستعمار الامبريالية، وبالتالي فان كل اقضاء للآخر هو اثبات للانا، وكل نفي يتضمن تأكيد على هوية الذات من اجل استمرارها، فهوية الغرب لن تكتسب قوتها الا بإلغاء هوية الشرق التي اقام الغرب تمايزه عنها بالاعتماد على الدين واللغة والعرق .

خامسا: النقد الثقافي وهجنة الهوية عند إدوارد سعيد :

النقد الثقافي من بين الأساليب التي ظهرت في مرحلة ما بعد الاستعمار، الغرض منه هو دراسة حالة الشعوب التي خرجت حديثا من الاستعمار خاصة من الناحية الثقافية، فكانت الهوية من أولى اهتمامات النقد الثقافي، حيث ذهب العديد من المفكرين إلى أن الشعوب التي تعرضت لويلات

الاستعمار في المرحلة المعاصرة تعيش حالة من عدم القدرة على وعي الذات، فلا بد من دراسة ثقافتها من أجل تحديد هويتها، لأن الثقافة بما تشتمل عليه من دين ولغة وعادات وتقاليد هي البوصلة التي تهتدي بها الشعوب إلى هويتها، لتكون بذلك "خطابات الهوية التي تنامت في العالم الثالث سواء دينية، لغوية أم عرقية، لم تأت إلا كردة فعل سلبية وصدى يستمد قوته من قوة الفعل والصوت الاستعماري"⁴⁵.

ويعتبر ادوارد سعيد من الوجوه البارزة في النقد الثقافي للدراسات ما بعد الكولونيالية، بل ويعتبر من أبرز مؤسسيه حيث اهتم بدراسة ثقافات الشعوب التي عانت من الاستعمار، والتي لم تجد الا ثقافتها كأداة لمقاومة المد الاستعماري، لكن هذه الثقافات لو نظرنا الى تاريخها لوجدنا بانها ليست بثقافات اصيلة، وانما ثقافات هجينة، وبالتالي فان النقاء الثقافي والهوي الذي تمركز حوله الغرب ومن بعد دول العالم الثالث بعيد عن الواقع لان "الفكرة التي تقول بوجود فضاءات جغرافية يقطنها سكان اصليون مختلفون تمام الاختلاف عن غيرهم، ويمكن تحديد هويتهم على اساس الدين او الثقافة او الجوهر العرقي المناسب لذلك الفضاء الجغرافي فكرة قابلة للنقاش الى حد كبير"⁴⁶، وهذا ما قام به هومي بابا وادوارد سعيد حيث اكدا أن فكرة النقاء الهوي فكرة لا وجود لها عبر التاريخ البشري وانما الموجود هو مجموعة من الثقافات المختلطة التي تتسم بالهجنة.

ومن هنا أصبح مصطلح الهجنة من بين الألفاظ التي أصبحت تطرح نفسها في الفكر الفلسفي والانثروبولوجي المعاصر كونها تمثل "تجاوز للاختراق الثقافي الامبراطوري المسلط على الاطراف، واعادة بناء للشرط الانساني، حيث الاختلاف والحرية والفردية مدفوعا بها الى اقصى حدودها، وقطعية تاريخية مع القرون الوسطى، التي لا تزال تلقي بسطوتها على الروح والجسد"⁴⁷، ويصبح لدى الشعوب قابلية اقل للتخلي عن اصولهم ويقل فيهم

التمسك بفكرة الاصل الاول الذي يوحدهم، وينخرطون في العالم كأناس تجمعهم رابطة الانسانية كرابطة اقوى من اي رابطة اخرى، حيث يقول ادوارد سعيد: "في رأيي فكرة الهويات الضيقة والمنفصلة ليس لها اساس تاريخي بل اننا ننتمي الى هويات اوسع بكثير، الى هويات وثامية اكثر"⁴⁸.

الهجنة في نظر ادوارد سعيد متجذرة في الحضارات الشرقية القديمة، فالشرق "كان دوما هجيناً وخليطاً متسامحاً من الثقافات، وان النزوع الى النقاء ظاهرة قريبة جداً"⁴⁹، وعليه يمكن القول أن بزوغ فكرة نقاء الهوية- بوصفها مسألة خلافية بين أفراد الأمة الواحدة- لم تظهر إلا حديثاً، خاصة مع الاستعمار وما صاحبه من دراسات إستشراقية، حيث كان يوجهها النظام السياسي الذي تبني سياسة "فرق تسد"، فحيث يوجد الاختلاف لا بد ان تكون هناك سياسة، والاعتقاد بنقاء الهوية يعني وجود هويات عديدة وهو يحمل الإنسان على رفضها وتمسكه بهويته النقية لكن "ضمن كل هوية هناك اندماج مستمر لجملة لا تنقطع من العناصر الاجنبية والغيريات التي تفوق كل ما تقوم بإقصائه عن وعي"⁵⁰، فكانت وظيفة النقد الثقافي في المرحلة ما بعد الكولونيالية فضح السياسة الغربية التي كانت مروجاً لفكرة الهوية الطاهرة، التي حملت معها فكرة القومية، حيث "يعتقد ادوارد سعيد ان كل ثقافة تتحدد بصفاتها ثقافة قومية هي تتطلع بالضرورة للسيادة والهيمنة. في نفس الوقت وبشكل مفارق، ان الوقائع التاريخية والثقافية هي دوما هجينة"⁵¹.

زمنه يمكن القول ان الهجنة تبقى الميزة التي تتسم بها كل الثقافات والهويات في العالم، فلم يعد بالإمكان تصور وجود هوية او ثقافة نقية بعد كل ما عاشه العالم من استعمار وهجرة، فالهجنة الآن كما يعتقد هومي بابا "تبرز كبديل لمواجهة الحدود القاسية التي فرضتها التراتبية الثقافية الغربية للهوية، إذ تتموقع هذه الثقافة ذات الطبيعة الهجينة في الفضاء البيئي او في

الفضاء الثالث فضاء الهجنة الثقافية حيث امتزاج الثقافات هو الهوية الجديدة⁵²، فالهجنة هي الواقع الذي بات يفرض نفسه على ثقافات الشعوب، التي لم يعد لها خيار اخر غير القبول به، ومنه يمكن أن تكون الهجنة مدخلا جديدا للتعايش والسلام بين الامم والشعوب.

سادسا. الخاتمة:

في الختام ومما تقدم خلصنا الى النتائج التالية:

- الهوية من بين المفاهيم الزئبقية المستعصية على التعريف الدقيق يتجلى ذلك في اختلاف الفلاسفة في تحديد مدلولها مما اكسبها أبعادا متعددة؛ فلسفية واجتماعية وانثروبولوجية وكذلك ثقافية تشكل مجتمعة الهوية الإنسانية.

- لقد استمد إدوارد سعيد موقفه من الهوية متأثرا بتجربته الشخصية ومن المعاناة التي كابدها في ظل الاستعمار الإسرائيلي للعراق وفي إطار ازدواجية الاسم الذي بقي يلاحقه ويثير تساؤلات الناس من حوله.

- الإنسان اليوم يتخبط في العديد من الأزمات التي تعود بالدرجة الأولى إلى مسألة الهوية، أي أن الانقسامات الحاصلة في العالم والتوترات القائمة تعود في صميمها إلى التمايز الثقافي والحضاري الذي خلق لنا ما يعرف بجذلية الأنا والآخر، لكن إدوارد سعيد يعتقد أنه لم يعد بالإمكان التمسك بهوية واحدة وموحدة، فلا وجود لهوية نقية وإن فكرة الهوية الطاهرة فكرة غريبة اخترعها الغرب من أجل حماية مصالحه وبسط سلطته وقوته، ونشر الشعور بالنقص في الهويات الأخرى،

- تاريخ الإنسان يثبت بأن هوية البشر في تغير مستمر، والإنسان لم يعرف هوية واحدة فقط، فجميع الهويات أخذت من بعضها البعض، وبالتالي لا بد من كسر تلك الصورة وذلك المفهوم الذي طرحه الغرب عن الهوية؛ والتأسيس لمفهوم جديد تكون الهجنة هي جوهره.

إن العالم يسير في خط مستقيم، تلتقي عليه جميع الهويات، فالإنسان المعاصر مطالب اليوم أكثر من أي وقت مضى بالانفتاح على الآخر وقبوله بما يحمله من اختلاف، وهذه البوادر توجد اليوم في المجتمع الأمريكي، الذي باتت الهوية فيه تتسم بالهجنة لأنها تحوي أفراد من حضارات وثقافات متعددة، ولكي تستمر النزعة الإنسانية لا بد أيضا بقبول الهجنة كمخرج ومنفذ لكل الأزمات التي كانت الهوية محركا لها.

- الغرب ساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في خلق الهوية الهجينة من خلال الاستشراق والاستعمار والمنفى وكان في هذه الحالة السحر انقلب على الساحر، فلقد وظف الغرب هذه الآليات من أجل التمكن من الشرق لكنه حمل معه حضارة الشرق وباتت تمارس في مجتمعه، وكذلك الإنسان المنفي حمل معه هويته ومن خلال احتكاكه بالفرد الغربي نقل إليه مقومات هويته وأصبح يتعامل معه من منطلق إنساني محض، أما الاستعمار فقد قاد الكثير من الأفراد إلى الهجرة هروبا من الموت وبحثا عن الأمان في ديار العدو، فهذه العوامل كلها ساهمت بظهور بوادر الهجنة في المجتمع الغربي .

-لم يوظف إدوارد سعيد الهجنة كمخرج للتعايش فقط وإنما قدمها إلى العالم على أنها ضرورة كونية، أصبحت تفرض نفسها على كل القوى، فالإنسان شاء أم أبى يسير في طريقه نحو الهجنة كواقع لا مناص من تجاهله ، فالتاريخ الإنساني يتحول من النقاء إلى الهجنة.

ثامنا: الهوامش:

1- جلال الدين سعيد ، معجم مصطلحات الفلسفة ، دار الجنوب للنشر، فلسطين ، 2004 ، ص 494.

2- الجرجاني، معجم تعريفات، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د.ت، ص 216.

- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص 998.

- 4-مراد هبة ، المعجم الفلسفي ، دارقباة الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2007 ، ص 667.
- 5-جميل صليبا ، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية ، الجزء الثاني ، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة ، بيروت ، 1982، ص 530.
- 6- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ص 529
- 7- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ص 530.
- 8-مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، ص 667.
- 9-اندرية لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، المجلد الأول ، ترجمة : خليل احمد خليل ، منشورات العويدات ، بيروت ، ط 2 ، 2001 ، ص 608.
- 10- عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، الجزء الثاني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1984 ، ص ص 569-570.
- 11شيلي واليا ، صدام ما بعد الحداثة ادوارد سعيد وتدوين التاريخ ، ترجمة: عفاف عبد المعطي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص 37
- محمد الجرطي، ادوارد سعيد من تفكيك المركزية الغربية الى فضاء الهجنة والاختلاف، منشورات المتوسط، إيطاليا، ط 1، 2016، ص 125¹²
- 13- ادوارد سعيد، الالهة التي تفشل دائما ، ترجمة : حسام الدين خضور، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2003، ص53.
- 14- عمر بوجليدة، فكر الهجنة والوعي بالآخر السرديات العنصرية والمثقف المقاوم، كتاب جماعي ، إدوارد سعيد ... الهجنة، السرد، والفضاء الإمبراطوري، ص 69.
- 15 - سليم حيولة، الهوية ومفارقاتها في فكر ادوارد سعيد النقدي بحث في الأصول الفكرية، كتاب جماعي ، إدوارد سعيد ... الهجنة، السرد، والفضاء الإمبراطوري، ص 163.
- 16- جلييلة المليح الواكدي ، مفهوم الهوية مساراته النظرية و التاريخية في الفلسفة ، في الانثروبولوجيا وفي علم الاجتماع ، ، مركز النشر الجامعي ، دم ، 2010 ، ص 14 .
- 17 - ابن سليمان صادق ، الاسس الفلسفية للقيم الخلقية في العصر الهلنستي الرواقيون نموذجا ، ماجستير ، جامعة الجزائر ، قسم الفلسفة ، 2005 / 2006 ، ص 29.
- 18 -- ابن سليمان صادق ، الاسس الفلسفية للقيم الخلقية في العصر الهلنستي الرواقيون نموذجا ، ص 83.
- 19 -- ابن سليمان صادق ، الاسس الفلسفية للقيم الخلقية في العصر الهلنستي الرواقيون نموذجا ، ص 90
- 20 - جلييلة المليح الواكدي ، مفهوم الهوية مساراته النظرية و التاريخية في الفلسفة ، في الانثروبولوجيا وفي علم الاجتماع ، ص 84.

-
- 21- تاج محمد ، الآخر بين ادوارد سعيد و تدوروف ، مجلة الفكر المتوسطي ، العدد 9 ، جوان 2015
- 22- ماريو باي ، اسس علم اللغة ، ترجمة : احمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 8 ، 1998 ، ص 207 .
- 23- فريد بوشي ، ادوارد سعيد الانستي الراديكالي في اصول الفكر ما بعد الكولونيالي ، ترجمة: محمد الجرطي ، صفحات للدراسات و النشر و التوزيع ، دمشق ، ط 1 ، 2018 ، ص 163 .
- 24- محمد عابد الجابري ، المشروع النهضوي مراجعة نقدية ، ط 2 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 2000 ، ص 87.
- 25- عمر فاخوري ، كيف ينهض العرب ، مطبعة الاهلية ، بيروت ، 1331 هـ ، ص 8.
- 26- ادوارد سعيد ، دانيال بارنبويم ، نظائرو مفارقات إستشكالات في الموسيقى و المجتمع ، ترجمة : نائلة قلقيلي حجازي ، دار الآداب للنشر و التوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 2005 ، ص ص 33-34 .
- 27- نور الدين جويني ، ابو القاسم سعد الله ، ادوارد سعيد الشخصية المفهومية في الثقافة العربية المعاصرة ، مجلة لغة – كلام ، الجزائر ، العدد 07 ، سبتمبر 2018 ، ص 105 .
- 28- ادوارد سعيد ، خارج المكان ، ترجمة : فواز طرابلسي ، دار الاداب للنشر و التوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 2000 ، ص ص 27 – 28 .
- 29- فتحي المسكيني ، الفيلسوف والامبراطورية في تنوير الانسان الاخير ، المركز الثقافي الغربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 2005 ، ص ص 149 – 150 .
- 30- فتحي المسكيني ، الهجرة الى الانسانية ، كلمة للنشر و التوزيع ، منشورات ضفاف ، منشورات الاختلاف ، دار الامان ، بيروت ، الجزائر ، الرباط ، ط 1 ، 2006 ، ص 33 .
- 31- فريد بوشي ، ادوارد سعيد الأنستي الراديكالي ، ص 194 .
- 32- ادوارد سعيد ، فرويد وغير الاوروبيين ، ترجمة : ثائر ديب ، دار الاداب للنشر و التوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 2004 ، ص 56 .
- 33- ادوارد سعيد ، فرويد وغير الاوروبيين ، ص ص 62-63 .
- 34- ادوارد سعيد ، فرويد وغير الاوروبيين ، ص 91 .
- 35- إسماعيل مهنانة ، في تفكير الهجنة مع ادوارد سعيد فتوحات ما بعد الحداثة ، كتاب جماعي ، ادوارد سعيد ... الهجنة ، السرد ، و الفضاء الامبراطوري ، ابن نديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، الجزائر ، لبنان ، ط 1 ، 2013 ، ص 24 .
- 36- ادوارد سعيد ، السلطة و السياسة و الثقافة ، ترجمة : نائلة قلقيلي حجازي ، دار الآداب للنشر و التوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 2008 ، ص 452 .
- 37- ادوارد سعيد ، السلطة و السياسة و الثقافة ، ص 452 .
- 38- فتحي المسكيني ، الفيلسوف والامبراطورية في تنوير الانسان الاخير ، ص 131 .
- 39- إسماعيل مهنانة ، في تفكير الهجنة مع ادوارد سعيد فتوحات ما بعد الحداثة ، ص 33 .

- 40 - ادوارد سعيد ، برنارد لويس ، الاسلام الاصولي في وسائل الاعلام الغربية من وجهة نظر امريكية ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 1994 ، ص 72.
- 41- فتحي المسكيني ، الفيلسوف والامبراطورية في تنوير الانسان الاخير ، ص 126 .
- 42 - ميشيل فوكو ، الكلمات و الاشياء ، ترجمة : مطاع الصفدي ، مركز الانماء القومي ، بيروت ، 1989-1990 ، ص 07.
- 43 - لونيس بن علي ، ادوارد سعيد من نقد خطاب الاستشراق الى نقد الرواية الكولونيالية (كيف نؤسس للوعي النقدي) دراسة نقدية ، دارميم للنشر ، الجزائر ، ط 1 ، 2018 ، ص 134 .
- 44 - إسماعيل مهنانة ، في تفكير الهجنة مع ادوارد سعيد فتوحات ما بعد الحداثة ، ص 37 .
- 45 - إسماعيل مهنانة ، في تفكير الهجنة مع ادوارد سعيد فتوحات ما بعد الحداثة ، ص 25 .
- 46 - ايف كلفارون ، ادوارد سعيد الانتفاضة الثقافية ، ترجمة : محمد الجرطي ، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط 1 ، 2017 ، ص 163 .
- 47 - إسماعيل مهنانة ، في تفكير الهجنة مع ادوارد سعيد فتوحات ما بعد الحداثة ، ص 26.
- 48 - ادوارد سعيد ، السلطة و السياسة و الثقافة ، ص 452 .
- 49 - إسماعيل مهنانة ، في تفكير الهجنة مع ادوارد سعيد فتوحات ما بعد الحداثة ، ص 38.
- 50 - فتحي المسكيني ، الفيلسوف والامبراطورية في تنوير الانسان الاخير ، ص 150 .
- 51 - فريد بوشي ، ادوارد سعيد الأنسي الراديكالي ، ص 246 .
- 52 - لونيس بن علي ، ملامح من اشكالية الهوية تحليل الخطاب الاستعماري عند ادوارد سعيد ، كتاب جماعي ، ادوارد سعيد ... الهجنة ، السرد ، و الفضاء الامبراطوري ، ابن نديم للنشر والتوزيع ، دار الروافد الثقافية — ناشرون ، الجزائر ، لبنان ، ط 1 ، 2013 ، ص 54 .